مقدمة المترجم حسن الزكري النقدية للفقرات التي ترجمها عبد الرحيم حزل من كتاب **قصة حياتي** لمؤلفته **إيميلي كين** الشهيرة بشريفة وزان

في نهاية ندوة تم عقدها يوم السبت 04 يونيو 2022 بمقهى الشريفة الثقافي بدعوة كريمة من صاحبها الكاتب والروائي يوسف شبعة الحضري حول كتاب "المغرب الذي كان" لوالتر هاريس، وهو أول كتاب قمت بترجمته، وذلك بمشاركة الأستاذين الفاضلين الدكتور خالد طحطح والدكتور محمد بكور ومن تنشيط صحفية ميدي آن المتألقة اعتماد سلام وفي حضور ثلة من المثقفين؛ اقترح علي أحد الإخوة الحضور الأفاضل أن أعمل على ترجمة كتاب "قصة حياتي" لإيميلي كين المعروفة بشريفة وزان إلى العربية. الكتاب سبق أن ترجمه الدكتور سيدي محمد اليملاحي الوزاني من الإنجليزية إلى الفرنسية، كما ذكر، لكن ترجمته إلى العربية لم تر النور بعد؛ والعديد من القراء والباحثين والمهتمين ينتظرون صدورها بفارغ الصبر، لا سيما وقد سبق لأحد المترجمين[1] أن أعلن على صفحته بإحدى منصات التواصل الاجتماعي أنه يعمل على ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية، استنادا إلى الترجمة الفرنسية بالطبع، لأن صاحبنا لا يحسن الترجمة رأسا من الإنجليزية.

لم يكن الأخ الفاضل يدرك، حين تقدم باقتراحه هذا، أني كنت بالفعل بصدد ترجمة كتاب "قصة حياتي"، وأني كنت على وشك الانتهاء منه. في الحقيقة كنت قد وضعت في اعتباري البدء في هذا المشروع بمجرد فراغي من ترجمة "المغرب الذي كان"؛ وذلك لعدة اعتبارات، منها أنه يتحدث عن نفس الفترة التي يتحدث عنها كتاب هاريس ويتطرق، إلى حد ما، إلى نفس الشخصيات؛ ومنها أيضا أنه يتناول حياة إيميلي مع رجل كان يعتبر حينها ذا نفوذ قوي في المغرب، إلى حد أن السلطان المغربي نفسه كان يخطب وده ويحسب له ألف حساب، وهو الشريف سيدي عبد السلام بن العربي الوزاني، شريف وزان الأكبر؛ ومنها كذلك، وهذا هو الأهم ربما، أنه يرسم انطباعات إميلي، كسيدة أجنبية آتية من وراء البحار، عن المغرب والمغاربة، ويصف الرحلات العديدة التي قامت بها، أحيانا برفقة زوجها وأحيانا من دونه، في مختلف أنحاء هذا البلد وخارجه، ويستعرض خدماتها الاجتماعية والطبية بين الأهالي في طنجة وفي مدن أخرى، كما يقدم

---

[1] -المقصود عبد الرحيم حزل، الذي يُكرس صفحته على منصة التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" للتباهي بترجماته، والطعن في المترجمين الآخرين والانتقاص من قيمة أعمالهم، إلى حد أنه لا يتورع عن تصحيح أخطاءهم المزعومة بالقلم الأحمر، مع أن منهم مترجمين مشهود لهم بالكفاءة. وقد رأيته مرة يعيب في صفحته ترجمة محمد عصفور لكتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد إلى العربية ويصحح ما يزعم أنها "أخطاء"، رغم أن هذا الأخير ترجم الكتاب عن الإنجليزية التي كُتب بها أصلا، بينما هو يصحح له استنادا إلى الترجمة الفرنسية! وحين رجعت إلى الأصل الإنجليزي وجدت أن المترجم العربي على صواب، وأنه إن كان هناك من لا بد أن يُعاب فهو المترجم الفرنسي، فعلى سبيل المثال قام حزل بتصوير صفحة 85 من الكتاب وسطر على كلمة "**محاضرة**" وقال إنها خطأ والصواب "خطاب" لأن المترجم الفرنسي استعمل كلمة: "discours". وحين عدت إلى الأصل الإنجليزي وجدت أن المؤلف استعمل كلمة "**lecture**" وتعني محاضرة؛ وهذا ينسحب على كل "الأخطاء" المزعومة، ولولا ضيق المقام لفندناها جميعا. ولم يسلم من تطاول حزل حتى المترجمون الجدد، الذين يفترض أن يشجعهم، ويثني على جهودهم، قبل أن ينقد أخطاءهم إن كانت لهم أخطاء، وجل من لا يخطئ؛ وهو نفسه كل ترجماته مليئة بالعيوب والنقائص التي لا يرتكبها مترجم هاو، فما بالك بمن تصور له نفسه أنه قد تربع على عرش الترجمة بلا منازع!

تفاصيل في منتهى الدقة وغاية في الأهمية عن الشعب المغربي والثقافة المغربية وعن العادات والتقاليد المحلية في ذلك العهد الذي تكتب عنه، أي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وُلدت إميلي كين في إنجلترا سنة 1849. في سنة 1872، قدمت إلى طنجة واشتغلت مدبرة منزل لدى المليوَنير الأمريكي الشهير ذي الأصل اليوناني إيون برديكاريس. وفي سنة 1873 تعرفت على شريف وزان الأكبر الحاج عبد السلام بن العربي الوزاني، الذي عرض عليها الزواج. ترددت في البداية، لكنها قبلت آخر الأمر لما تأكدت من حقيقة مشاعرها نحوه. بعد الزواج انتقلت إميلي للعيش في منزل الشريف الذي كان زاوية في نفس الوقت[2]، واكتشفت هناك نمطا من الحياة مغايرا لذلك الذي ألفَته من قبل، ووقفت على حجم التبجيل الذي يحظى به الشريف بين أبناء دينه، وعلى المكانة التي يحتلها في قلوب الناس داخل المغرب وخارجه. توفيت إميلي كين في منزلها بمرشان بطنجة سنة 1941، بعد أن قضت قرابة السبعين عاما في المغرب، تمكنت خلالها من العيش على أعتاب ثقافتين وهويتين مختلفتين، كانت تكن لهما نفس القدر من الإجلال والاحترام.

"قصة حياتي" تروي فيها إميلي كين سيرة حياتها في المغرب وبين المغاربة منذ اليوم الذي تزوجت فيه بشريف وزان، لذلك يمكن عدها بهذا الاعتبار سيرة ذاتية؛ لكن من جانب آخر يمكن إدراجها أيضا ضمن أدب الرحلات، لأن الكاتبة تصف فيها الأقطار التي مرت بها وما جرى لها من أحداث وما صادفته من وقائع خلال رحلاتها المتعددة في مختلف المدن والمناطق والبلدات، سواء منها داخل المغرب أم خارجه.

أثناء عملي على ترجمة الكتاب اعترضتني بضع عقبات، لعل أبرزها هو التعرف على أسماء بعض المدن أو القرى أو الشخصيات، والتي تم تحريفها أو تصحيفها تصحيفا شديدا من طرف المؤلفة. لهذا فكرت في الاستعانة بالترجمة الفرنسية علها تسعفني في فك رموز هذه الأماكن والأشخاص. ولحسن الحظ كان الأخ الفاضل الذي تقدم بالاقتراح السالف الذكر بمقهى الشريفة، وهو الزميل والصديق الأستاذ مصطفى الدرية بالمناسبة، يتوفر على نسخة من هذه الترجمة فأمدني بها مشكورا، كما أمدني، للاستئناس، بنسخ لمقاطع من "قصة حياتي" مترجمة إلى العربية، سبق أن نشرها المترجم نفسه الذي أشرنا إليه في الهامش السابق على حلقات بإحدى الجرائد الوطنية[3].

وبالفعل ساعدتني الترجمة الفرنسية على التعرف على بعض الأماكن، لكن ليس جميعها، لأن المترجم ترك أسماء بعضها كما وردت في الأصل، مثل قرية Bioness وOulad Kharoul، بل ربما زاد الأمر التباسا بالنسبة لبعضها، كما هو الحال بالنسبة لمنطقة زارتها الكاتبة أثناء رحلة قامت بها إلى الجزائر وسَمَّتها ب **Ain Beni Matha**، فصارت في الترجمة الفرنسية **Ain Beni Matta**، مما زاد من حيرتي. وتضاعفت دهشتي، بل صدمتي، لما اطلعت على الترجمة العربية التي أشرت إليها في السابق (ترجمة عبد الرحيم حزل لبعض الفقرات)، ووجدت أن مترجمنا الهُمام ترجمها بـ"**عين بني مطاع**"، حيث

---

[2]- كان المنزل (الزاوية) يقع في الحي الشهير المعروف بـ"حومة بنيدر" أو "بني يدر" بالمدينة القديمة بطنجة

[3]جريدة العلم؛ وقد نشر آخر حلقة في العدد 18333 الذي صدر بتاريخ 24 ربيع الثاني سنة 1421 هجرية، الموافق لـ27 يوليوز سنة 2000 ميلادية

عنون أحد فقرات ترجمته بـ"**من العريشة إلى بني مطاع**" ! ولو أنه كلف نفسه وبحث قليلا لعرف أن الأمر يتعلق بمنطقة تسمى "**عين بني مَطهر**" وليس عين بني مطاع كما تَوَهَّم ، لأن عين بني مطاع لا وجود لها إلا في مخيلته .

ليس هذا هو الخطأ الفادح الوحيد الذي ارتكبه المترجم الآنف الذكر في الترجمة التي نشرها في إحدى الجرائد الوطنية ، كما سلف القول ، بل هناك عدة أخطاء أخرى كارثية ، كما سَنُبَين ؛ منها أخطاء لغوية ، ومنها أخطاء في الصيغ التعبيرية وفي انتقاء الألفاظ الدقيقة والمناسبة ، ومنها أخطاء شنيعة في الترجمة نفسها ، ناهيك عن لجوئه في غالب الأحيان إلى الترجمة الحرفية وغير السليمة والمُحَرِّفَة للمعنى المراد ، وإلى استعماله لأسلوب أقل ما يقال عنه إنه ركيك ومبتذل ومتهافت . وسأبين ذلك من خلال عدة أمثلة[4] :

في بداية الفصل الأول ، لما وَقَّعت المؤلفة على عقد الزواج بحضور موثقين عدليين مغربيين ، قالت : "I was now the Shareef's wife in Mohammedan law" ، أي "أصبحت الآن زوجة الشريف حسب الشريعة المحمدية (الإسلامية)" ؛ لكن صاحبنا ترجمها على هذا المنوال : "**وأصبحت زوجة الشريف على سنة الله ورسوله**" ، كذا ! وكأن إميلي (وهي المتحدثة هنا) كانت تدين بدين الإسلام ، هذا مع التذكير بأنها بعد عقد زواجها على الشريف على يد العدلين وفق الشريعة الإسلامية خاطبته قائلة : « I ha(ve) not yet obtained a husband» أي : " لا زلت لم أحصل على زوج بعد" ، وهي العبارة التي تجاهلها صاحبنا ولم يترجمها ؛ مما يعني أنها اعترفت بالزواج فقط بعد أن تم عقده في القنصلية البريطانية وطبقا للطقوس المتبعة في بلادها .

في الفصل الأول أيضا ذكرت الكاتبة أنها لما ذهبت رفقة أمها وأبيها إلى المفوضية البريطانية لعقد زواجها المدني ، وجدت الشريف قد سبقهم إلى هناك : «The Shareef had already arrived» لكن (عبد الرحيم حزل) ترجم العبارة هكذا : "**ثم جاء الشريف . . .**" ، وكأن الشريف وصل بعدهم ، على عكس ما حصل بالفعل .

في الفصل الأول كذلك ، وبعد عقد زواجها المدني قالت الكاتبة : » After receiving the congratulations of the company, my husband escorted me to the Hotel, and , leaving me to change into the costume I should wear at the wedding breakfast, went off to mosque for his devotions, as it happened to be Friday , the Mohammedan Sabbath « ، أي : " بعد تلقي التهاني من الضيوف ،

---

[4]نفس الأمر ينطبق أيضا على ترجمة حزل المزعومة لكتاب "المغرب الذي كان" لوالتر هاريس، الذي قمنا بترجمته كاملا؛ حيث ترجم منه فقرات مبتورة في إحدى الصحف لم يعد فيها إلى الأصل، إنما اعتمد على الترجمة الفرنسية؛ وهي بدورها ترجمة مبتورة وغير مكتملة كما أوضحنا ذلك في تقديمنا لترجمتنا لكتاب "المغرب الذي كان". وتجدر الإشارة هنا إلى أنه حين انتقد ترجمتي لهذا الكتاب على صفحته اقتطع فقرة من آخر الفصل الأول وبنى عليها حكمه بأن النرجمة كلها مليئة بالأخطاء والتناقضات كما زعم، مع أن الأخطاء والتناقضات نجدها في تعليقاته هاته. على سبيل المثال، كتب هاريس بأنه ربطته بممثلي أو مندوبي بريطانيا في المغرب **"صداقة حميمية ومقدرة جدا":** «**a very intimate and much appreciated friendship**»، لكن حزل حكم بأن الترجمة الأصوب هي عبارة المترجم الفرنسي في الترجمة الفرنسية التي يحاكمني إليها: ««très intime et très sincère»، (أي صداقة حميمية وصادقة، أو مخلصة) كذا! وكذلك وصف هاريس ممثلي بريطانيا في المغرب بأنهم: «**the best and kindest of men**»، أي: " **أفضل الرجال وأطيبهم**"، فزعم أن الترجمة الصحيحة هي (وكتبها بالفرنسية): «...les meilleurs et les plus importants»، أي "الأفضل والأهم"؛ مع أنه حتى المترجم الفرنسي ترجمها هكذا: «les meilleurs et les plus bienveillants des hommes».

رافقني زوجي إلى الفندق وتركني هناك لأبدل ملابسي وأرتدي الفستان الذي علي أن أحضر به فطور الزفاف، بينما انصرف هو إلى المسجد لأداء صلاته، حيث اتفق أن اليوم كان يومَ جمعة، وهو اليوم المقدس لدى المسلمين"؛ ترجمها صاحبنا عبد الرحيم حزل هكذا: **"ولما فرغنا من تلقي التهاني من الأصدقاء، رافقني زوجي إلى الفندق، وتركني لأبدل ثيابي، وأرتدي الثياب التي علي أن أرتديها في فطور الزفاف. ثم توجه إلى المسجد لأداء الصلاة. ذلك أن اليوم كان يوم جمعة، وهو المقابل في الدين الإسلامي ليوم السبت عند اليهود"**.

وأيضا في الفصل الأول، تصف فطور الزفاف فتقول: «I believe that over sixty guests were present, and the huge wedding cake, a present from my god-father, was cut with due ceremony»؛ أي: " أُقدر أن أكثر من ستين شخصا كانوا حاضرين؛ وتم تقطيع الكعكة الضخمة، وكانت هدية من أبي بالمعمودية، وفقا للمراسم المتبعة". "أبي بالمعمودية" أو "أبي الروحي" صارت عند مترجمنا الفذ بقدرة قادر "جدتي"! حيث ترجم حزل العبارة هكذا: **"وأعتقد أن عدد الضيوف الذين حضروا حفل زفافنا كان ستين ضيفا. وتم تقطيع حلوى الزفاف، وهي حلوى هائلة، كانت هدية جدتي إلي في تلك المناسبة"**.

في الفصل الثاني حين تحدثت المؤلفة عن الأشخاص الذين يأتون لائذين بالزاوية، كتبت: "Letters to the sultan for intercession seldom failed to ameliorate the condition of the person concerned , and interviews by proxy with local authorities, European and Mohammedan , were of daily occurrence »، أي أن "كانت الرسائل المتشفعة إلى السلطان نادرا ما تخيب في تحسين وضع الشخص المعني، كما كانت اللقاءات بالوكالة مع السلطات المحلية، أوروبيين ومسلمين، تجري بشكل يومي"؛ لكن (حزل) استبدل "الشخص المعني" ب "الشخص السجين"، و"المسلمين" صاروا عنده، بقدرة قادر، "سلطات مغربية" وجعل الشريف هو من يقوم باللقاء مع السلطات وليس أحد وكلائه كما في الأصل؛ إذ يقول مترجما: **"وقلما كانت تخيب الرسائل التي يرفعها الشريف إلى السلطان في التوسط لتحسين ظروف الشخص السجين، كما كانت مقابلات الشريف مع السلطات المحلية من أوروبية ومغربية، من الأمور الجارية في جميع الأيام"**.

في الفصل الثاني كذلك ذكرت المؤلفة أنها كانت تعرف أن لزوجها ابنة صغيرة في ربيعها السادس اسمها لالة هبة: "I knew the Shareef had a little daughter of some six summers named Lalla Hiba". لالة هبة صارت عند مترجمنا "لالة حبيبة": **"عرفتُ كذلك أن للشريف ابنة صغيرة في ربيعها السادس تسمى لالة حبيبة"**. كذا!

في الفصل الثاني أيضا، حين تتحدث المؤلفة عن عدم تسامحها مع من يتهاونون في تطبيق تعاليم دينهم، قالت: "My remonstrances, I ought to say, have always been taken kindly" أي "علي أن أقول إنهم تقبلوا دائما اعتراضاتي عليهم دون تذمر". لكن (حزل) حَرَّف المعنى بهذا الشكل الفاضح: **"لكن يلزمني القول إن اعتراضاتي ومجادلاتي كانت دائما سمحة هينة"**.

في الفصل الثالث تقول المؤلفة بما إنه لم تكن هناك وسائل ترفيه كثيرة في المجتمع الطنجي فقد كانوا يُكرسون أمسياتهم للموسيقى : «the evenings were generelly devoted by us to music» ، أي " كنا في الغالب نكرس أمسياتنا للموسيقى" ؛ أما في ترجمة مترجمنا فالأمسيات (the evenings) صارت (صباحات) : **"فكنا نكرس الصباحات عموما لتعلم الموسيقى"** ، ولا أدري من أين جاء بكلمة "تَعَلُّم" !

في الفصل الثالث أيضا تتحدث الكاتبة عن شريف من عائلة زوجها اسمه سيدي محمد كان يلح على الشريف كي يذهب بالمولود الذي سيولد له إلى وزان لتربيته هناك بعيدا عن أمه ، وأن الشريف ضاق ذرعا بنصائحه هذه ، وقالت إنه كان يخبرها بكل جديد يقوله له : "The Shareef used to tell me Sidi Mohammed's latest» ، أي : "وكان الشريف يخبرني بآخر شيء (أو : بكل جديد) يقوله سيدي محمد" ؛ ترجمها (حزل) بطريقة مثيرة للسخرية : "**وقد كان من عادة زوجي أن يسمي لي صديقه الشريف هذا باسم (سيدي محمد المتأخر)" ؛** إذ من الواضح تماما أنه أساء فهم العبارة ، وإلا لم يكن ليترجمها بهذا الشكل المعيب !

في الفصل الرابع حين تتحدث الشريفة عن زيارتها لسبتة تعرج على ذكر مصارعة الثيران وتصف مقصورة الحاكم في مدرج ساحة الثيران**:** "The Governor's *loge* was beautifully decorated" ، أي : "تم تزيين مقصورة الحاكم بشكل جميل ، أو رائع" ؛ لكن في الترجمة صارت المقصورة **بيتا للعامل** : "**وكان مدخل بيت العامل آية في الروعة ، واحتوى المسكن على ديكور جميل"** . كذا ! وكأن مصارعة الثيران ، أقيمت في بيت الحاكم ، (أو العامل كما في ترجمته) وليس في الساحة المعدة لهذا الغرض .

في نفس الفصل وفي معرض حديثها عن عرض مصارعة الثيران تقول : «By this time the beast began to be infuriated, especially when squibs were hooked into his hide» أي : " في هذه الآونة بدأ الحيوان يزداد هياجا ، لا سيما لما عَلقَت مفرقعات بجلده" ؛ ترجمها مترجمنا هكذا : "**وفي تلك الأثناء كان الحيوان قد بدأ يضطرم حنقا ، ولاَ سيما عندما أخذ الذباب يعلق بجلده**" . لاحظوا كيف صارت "المفرقعات" "ذبابا" في هذه الترجمة "الفذة" .

في الفصل الرابع كذلك تتحدث الكاتبة عن قيادة الشريف الوزاني للجيش السلطاني خلال الحرب الإسبانية المغربية وعن الأوامر التي صدرت له باحتلال سبتة وكيف أنه استعظم الأمر لأن ذلك سيؤدي في نظره إلى خسارة لا داعي لها في الأرواح : "The Shareef was commanded to take Ceuta, which he found rather a big order involving useless loss of life » ، أي : " صدرت الأوامر للشريف بالاستيلاء على سبتة ، فاستعظم الأمر ، واعتبر أنه سيؤدي إلى خسارة لا مبرر لها في الأرواح" ؛ لكن (حزل) شوه المعنى بهذه الطريقة الفجة : **"وكان قد صدر الأمر إلى الشريف بأن يستعيد مدينة سبتة ويصد عنها جيشا هائلا . لكن لم يكن له أن يدخلها إلا بأن يفقد حياته"** ! لاحظوا كيف يضيف أشياء من عنده ! ولست أدري من أين جاء بالجيش الهائل ، ومن أعطاه الإذن بإنشائه !

في الفصل الخامس تتحدث الكاتبة عن زعيم (جزائري) يدعى سليمان بن قدور كُلف زوجها بمهمة إقناعه بالعيش في المغرب والكف عن غاراته على الحدود الجزائرية، وتقول إن نسبه يعود لأبي بكر الصديق : "Si Sliman Ben Kaddour belonged to the younger branch of the family which counted as ancestor Sid Boubker ... »، أي : " ينتمي سي سليمان بن قدور للفرع الأصغر للعائلة التي ينتهي نسبها إلى سيدي أبي بكر . . . " لكن (حزل) ترجم العبارة على هذا المنوال : **"وسي سليمان بن قدور ينتمي إلى الفرع الأصغر من أسرة كان شيخها هو سيدي أبو بكر . . ."**!، كأننا نتحدث عن شيخ قبيلة مات قبل سنوات معدودات وليس عن سلف أو جد أعلى للأسرة مات قبل مئات السنين.

في نفس الفصل، عندما وصلت الكاتبة إلى وهران، أتى قائد بارز لرؤية طفلها في الفندق، فتقول : «A noted Kaid came, by my husband's permission, to see the child. He kissed his little hands, and, pressing them to his heart, asked for the child blessing, but the infant knew no Arabic and told the man to go away. But merely to hear him speak pleased the Kaid, who gave him some money. The boy rushed to me with it, saying, 'Mama, sweeties. This called the man's attention to me, and he immediately put a packet into my hand containing twenty-five louis, and was gone" ، أي : " أتى قائد بارز، بعد أن أخذ الإذن من زوجي، لرؤية الطفل. لثم يديه الصغيرتين وضمهما إلى صدره ملتمسا بركته. لكن الطفل لم يكن يعرف العربية وطلب من القائد الانصراف. إلا أن مجرد سماع صوت الطفل جعل وجه القائد يَشعُّ بالسرور، وقام بإعطائه بعض النقود. فهرع الطفل نحوي بالنقود في يده قائلا : (ماما، أريد بعض الحلوى). هذا جذب انتباه القائد نحوي، وألقى على الفور بين يدي علبة تحتوي على خمسة وعشرين لويسية، ثم انصرف إلى حال سبيله". ترجمها مترجمنا بشكل يبعث على السخرية والاستغراب في آن واحد، إذ يقول مترجما : **"ثم جاء قايد معروف، بعد الاستئذان من زوجي، لرؤية طفلنا. فقبل يديه الصغيرتين، وضمهما إلى صدره، يطلب بركة الطفل. ولم تكن للطفل أدنى معرفة باللغة العربية، فقال للرجل أن يبتعد عنه. لكن القايد أعجب بعذوبة كلامه، فأعطاه بعض النقود، فرمى الطفل بها، وهو يصيح : (ماما، أريد حلوى). وحينئذ انتبه الرجل لوجودي، فبادر من فوره إلى وضع علبة في يدي تحتوي على خمس وعشرين (لويزة) ثم انصرف"**. لاحظوا التحريف في الترجمة، وكيف ترجم "louis" (لويسية : وهو الاسم الشائع للعملة الذهبية الفرنسية التي سميت على اسم الملك الفرنسي لويس الثالث عشر، وكانت القطعة ذات العشرين فرنكا تسمى لويسية) إلى "لويزة"، وهي النبتة المعروفة.

في الفصل السادس تتحدث المؤلفة عن عثورها على شريحة لحم خنزير مدخن على طاولة حين دخلت إحدى الغرف وأنها تسللت بها إلى غرفتها الخاصة كي تستمتع بطعمها اللذيذ مع أختها والمربية : "I managed to whisk it in time to my own sitting-room, where I and my sister and the nurse testified to its excellence in private ..."، أي : "تمكنت من التسلل بها إلى غرفة جلوسي الخاصة، حيث استمتعت أنا وأختي والمربية بطعمها اللذيذ بمنأى عن الأنظار"،

ترجمها المترجم على هذا الشكل الغريب المُحَرَّف : "**وقد كنت اعتدت أن آكل لحم الخنزير خلسة في غرفة الجلوس، حين كنت أنا وأختي والمربية نتذوقه"**. بعد ذلك أردفت المؤلفة : "The Shareef was amused at our making sandwiches for our tea, and as he never objected to my partaking of food which his religion prohibited him from joining me, I never had to procure anything clandestinely» أي : " ابتهج الشريف حين رآنا نعد الشطائر لتناولها مع الشاي، وبما أنه لم يكن يمانع أبدا في أن أتناول الطعام الذي يحظر عليه دينه مشاركتي إياه، لم أضطر يوما للأكل خلسة"، لكن المترجم الفذ، ويا للغرابة، ترجم العبارة هكذا : **"واندهش الشريف عندما رآنا نعد شطائر لتناولها مع الشاي، وبما أنه لم يعارض أكلي لما يحرمه دينه، فإنني لم أعد أتكلف الاختباء لتذوقه**"، مشوها المعنى تماما، بل قلبه لنقيضه.

في الفصل السادس كذلك تحدثنا الكاتبة عن امرأة ألقت بنفسها على نافذة العربة التي كانت تستقلها وكادت الأمور تتطور إلى ما لا تحمد عقباه لولا تدخل أختها في الوقت المناسب لإنقاذها وطفلها : "The only exciting incident was when a woman thrust herself halfway through the diligence window with a baby on her back. The infant might have been crashed, if my sister had not come promptly to the rescue as the mother was pulled back by those on the road» ، أي : "الحادثة المثيرة الوحيدة التي وقعت هي لما زَجَّت امرأة بنفسها إلى النصف عبر نافذة العربة، وكانت تحمل رضيعا على ظهرها. كان من الممكن أن يُسحق الصغير، لولا تدخل أختي لنجدته في الوقت المناسب حين كانت الأم تُجذب إلى الخلف من طرف أولئك الذين كانوا في الطريق". ترجمها (حزل) هكذا : **"كان الحادث الوحيد المثير هو عندما رمت امرأة نفسها في اتجاه العربة وطفل صغير على ظهرها. وقد كاد الطفل أن يداس لولا تدخل الأهالي وسحبهم للمرأة من الخلف"**! والفرق شاسع بين الأصل والترجمة كما تلاحظون.

في بداية الفصل السابع تخبرنا الكاتبة أنها طلبت من الشريف عندما ولد مولودها الأول أن يبحث لها عن مسكن خاص خشية تعرض الصغير للإصابة بمرض مُعْد : "When Moulay Ali was born, I told the Shareef that it was necessary to have a private residence. I felt that all the coming and going of the sanctuarists, often diseased, would expose the child to many things to be avoided, for in Morocco contagious maladies are thought nothing of» ، أي : "بُعيد ولادة مولاي علي، قلت للشريف إنه من اللازم أن نتوفر على مسكن خاص. شعرت بأن مجيء وذهاب الزوار الكثيرين، وأغلبهم من المرضى، قد يعرضون الصغير لأمور هو في غنى عنها، لأنه في المغرب لا يحسب حساب كبير للأمراض المعدية"؛ ترجمها (حزل) على هذا المنوال : **"وعندما ولد مولاي علي أخبرت الشريف بضرورة أن تكون له إقامة خاصة به. فقد كنت أخشى أن يكون في كثرة الداخلين والخارجين من الزاوية، ومعظمهم من المرضى، ما يعرض الطفل لخطر الإصابة بالأمراض المعدية، التي كانت متفشية يومئذ، في صفوف المغاربة"**. لاحظوا كيف يحرف الترجمة وكيف يضيف أشياء من عنده، مما يتنافى مع الدقة والأمانة.

في نفس الفصل، بعد عودة الشريف من رحلة الجزائر، كان من المفترض أن يأخذ سي سليمان بن قدور إلى السلطان في فاس، لكنه تباطأ، فتلقت الشريفة رسالة تحملها المسؤولية وتطلب منها ألا تقف حجر عثرة في وجه هذا الأمر: "I was unaware of all that until I received a letter begging me not to place any impediment in the way. This kind but rather severe missive rather perplexed me, for I had been using all my influence to induce the Shareef to finish off the business, especially as I was getting the blame, which annoyed him extermely"، أي: "لم أدرك كل هذا إلى أن توصلت برسالة تناشدني ألا أقف حجر عثرة في الطريق. هذه الرسالة الودية والقاسية في نفس الآن أثارت الحيرة في نفسي، لأني كنت أبذل كل جهدي كي أقنع الشريف بإتمام المهمة، خاصة أنني من كان ينحى عليها باللائمة، وهذا كان يضايقه كثيرا". ترجمها (حزل) هكذا: **"فقد كنت أجهل بهذا الأمر، إلى أن تلقيت رسالة تتوسلني أن لا أعوق تلك الرحلة. ولكن الأسلوب القاسي الذي جاءت عليه تلك الرسالة زرع تلك الرسالة الحيرة في نفسي، لأنني كنت أستعمل نفوذي كله لدفع الشريف لإتمام تلك الأعمال. ولكن اللوم الذي جاءت تحمله إلي تلك الرسالة أغضب الشريف كثيرا"**. لاحظوا الأخطاء اللغوية والركاكة في التعبير والترجمة الحرفية التي أوقعته في الأعطاب، وكيف أنه كرر كلمة "الرسالة" أربع مرات في هذه الفقرة القصيرة؛ ولاحظوا أيضا كيف حرف معنى العبارة.

في الفصل السابع أيضا، لما ذهب الشريف إلى فاس وقابل السلطان وأوشك على المغادرة، وقع هذا الأخير بعض الفرمانات لصالحه (والفرمان كلمة فارسية الأصل تعني قانون بأمر من السلطان أو ما يطلق عليه عندنا: ظهير): "Naturally the Sultan, Muley Hassan, was not pleased but under the circumstances he was gracious enough to cause some firmans to be handed to the Shareef during his farewell audience"، أي: "بطبيعة الحال لم يكن السلطان راضيا تمام الرضى، لكن في ظل هذه الظروف كان كريما بما يكفي لتوقيع بعض الفرمانات لصالح الشريف أثناء مقابلة الوداع". في ترجمة (حزل) صارت الفرمانات هدايا: **"ولم يكن السلطان، بطبيعة الحال، مسرورا جدا، لكنه كان في تلك الظروف كريما وزيادة، حيث دعا إلى تسليم بعض الهدايا إلى الشريف أثناء مراسيم الوداع"**.

في الفصل السابع كذلك وأثناء حديثها عن الاحتفال بالولادة لدى المغاربة تكتب: "A supper is offered to all, and the cook remains at work all night to be ready for the early breakfast to the male guests when they assemble on the morrow at 8.00 for the naming of the child" أي: "يقدم العشاء للجميع، وتظل الطاهية تعمل طيلة الليل حتى تكون جاهزة للفطور المبكر الذي ستقوم بإعداده للضيوف حين يتجمعون في الغد عند الساعة الثامنة لتسمية المولود". لكن في ترجمة صاحبنا حرف المعنى على هذا الشكل: **"ويقدم العشاء للجميع، ويستغرق الليل كله في صنع الحلاوي، لكي تكون جاهزة للفطور في الصباح المبكر، على الساعة الثامنة، بمناسبة تسمية الطفل"**.

في الفصل الثامن وأثناء حديثها عن قدوم البعثات الطبية والشك الذي كان يساور المغاربة بخصوصهم تقول: "With the advent of medical missions, I endeavoured to persuade the people to patronise them, feeling sure they would obtain much better advice than I could offer them. At first this method was very difficult, and many a bottle of medicine or box of pills was brought to me to assure the owner that it contained no poison, and they had been told that the object of the Christians was to annihilate all the Mohammedans"، أي: "عند وفود البعثات الطبية، عملت جاهدة على إقناع الناس بالتردد عليها، لأني كنت متأكدة من أنها ستقدم لهم خدمات طبية أفضل مما يمكنني تقديمها لهم. كان هذا الأمر صعبا أول الأمر، وكم من قارورة دواء أو علبة حبوب أحضرت إلي كي أطمئن المعني بالأمر أنها لا تحوي سما حيث كان يقال لهم إن هدف المسيحيين هو القضاء على كل المسلمين". ترجمها (حزل) هكذا، محرفا معناها تماما: "**وكنت أحس بالرضى أنني أفلح في تسكين كثير من آلام الأطفال بفضل المساعدة التي كنت أقدمها إليهم في الوقت المناسب. وقد كنت أجد صعوبة كبيرة في هذه الطريقة، وما أكثر ما كانت ترد إلي قنينة الدواء أو علبة الأقراص، ليطمئن من أعطيتها له أنهما لا يحتويان سما، إذ يقال لهم إن المسيحيين يسعون إلى إبادة المسلمين**". لاحظوا كيف قفز على ذكر البعثات الطبية ولم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد، وهي المقصودة بالكلام عن إبادة المسلمين (أو القضاء عليهم)، وليس الكاتبة.

في الفصل الثامن أيضا، وأثناء حديثها عن إدخال التلقيح أو التطعيم إلى المغرب، تقول: "As to vaccination, no trouble was experienced when I first introduced its use over twenty-five years ago. A foundling, a female child, had been brought to the house. I was not quite sure if I could ask the medical attendant to vaccinate"، أي: " أما بخصوص التطعيم، فلم تعترضني أي مشاكل حين قمت بإدخاله إلى البلاد قبل ما يربو على خمسة وعشرين عاما. في إحدى المرات أتي بطفلة لقيطة إلى البيت. لم أكن متأكدة تماما إن كان علي أن أطلب من المساعد الطبي تطعيمها"، ترجمها صاحبنا على هذا المنوال: "**وأما في ما يتعلق بالتلقيح، فلم ألاق أي عناء في ممارسته، فقد سبق لي أن مارسته أول مرة منذ خمس وعشرين سنة خلت. فقد حمل طفل لقيط ذات يوم، إلى البيت. ولم أكن متيقنة تماما من أن في مقدوري أن أطلب من مساعدي الطبي أن يقوم بتلقيحه**". لاحظوا كيف أن الكاتبة تتحدث عن إدخالها التطعيم إلى البلاد وصاحبنا يتحدث عن ممارستها له، وكيف صارت "الطفلة اللقيطة" "طفلا لقيطا" في ترجمته.

في نفس الفصل، حين تتحدث الكاتبة عن التغذية أو الرضاعة الاصطناعية، تقول: "As in Europe, mothers are fond of giving tastes of wrong food to their offspring. Coffee or green tea I have known given when the infant is only a few weeks old. The custom prevails when weaning children to have a pot of green tea always on hand night and day"، أي: "كما هو الشأن في أوروبا، الأمهات مغرمات بإذاقة أبنائهن أنواعا من الأكل لا تصلح لهم. فقد رأيت من يقدم القهوة والشاي الأخضر

لأطفال يبلغون بالكاد بضعة أسابيع من أعمارهم. هذه العادة تستفحل حين يفطم الصبي بواسطة الشاي الأخضر، حيث لا يفارق إبريق الشاي يده ليلا ولا نهارا"؛ ترجمها صاحبنا هكذا: "**وكانت الأمهات في المغرب، كما في أوروبا، مولعات بتذويق فلذات أكبادهن من الأطعمة المؤذية. وكنت أعرف أنهن يعطينهم القهوة والشاي الأخضر، وسنهم لا يتجاوز بعد بضعة أسابيع. وكانت العادة السائدة في فطام الأولاد أن تتخذ الأم لها إناء من الشاي الأخضر لا يفارق يدها ليل نهار**". لاحظوا كيف أن الإبريق الذي "لا يفارق يد الصبي" أصبح في الترجمة المعيبة "لا يفارق يد الأم"! وكيف غدت أنواع الأكل التي "لا تصلح" أو "لا تناسب" الأطفال، أطعمة "مؤذية" و"ضارة".

في الفصل التاسع حين تتحدث الكاتبة عن زيارتها مع الشريف لإسبانيا تقول: "The ancient mosque claimed a great deal of our time, the Shareef being particularly interested in the magnificent buildings erected by his co-religionists when they occupied Spain»، أي: " وقد استغرقت زيارتنا للمسجد العتيق قدرا كبيرا من وقتنا، حيث إن الشريف اهتم غاية الاهتمام بالمباني الرائعة التي شيدها إخوانه في الدين عندما كانوا يحتلون إسبانيا"، ترجمها صاحبنا هكذا: "**واستغرقت زيارتنا للمسجد العريف (العريق) قطسا (قسطا) غير يسير من وقتنا. ولكم اهتم الشريف بفخامة المباني التي شيدها أبناء جلدته عندما كانوا محتلين لإسبانيا**"، فـ"إخوانه في الدين" صاروا "أبناء جلدته"، مع الاختلاف الكبير في المعنى والدلالة، عدا عن الأخطاء الإملائية واللغوية.

في نفس الفصل، تخبرنا الكاتبة عن ابن صغير للشريف من زوجة سابقة كان يراسلها متوسلا أن يأتي إلى طنجة، وقالت بعبارة واضحة: "Twice the boy started from Wazan on his own account for Tangier»، أي: " حاول الولد مرتين أن يأتي إلى طنجة على حسابه الخاص"، ترجمها صاحبنا هكذا بشكل خاطئ تماما: "**ولقد جاء الولد مرتين من وزان إلى طنجة على حسابه الخاص**".

وتقول عن نفس الولد حين أصيب بمرض نفسي: "The strangest thing was that for all his changes he never was wanting in respect to me, and I have disarmed him many a time when others were afraid to approach him»، أي: "الأغرب أنه رغم كل هذه التغيرات التي طرأت عليه، إلا أنه لم يفقد احترامه لي أبدا، وتمكنت مرات عديدة من نزع السلاح من يده حين كان الآخرون لا يجرؤون على مجرد الاقتراب منه". ترجمها بركاكته المعهودة على هذا المنوال: "**والأشد غرابة أنه، برغم جميع التغيرات التي طرأت عليه، فإنه لم يتفق له في يوم من الأيام، أن أساء الأدب إلي، وكم قمت بتهدئته ونزع فتيل غضبه ونقمته، فيما الآخرون يخشون مجرد الاقتراب منه**". ترى أين ذهب "السلاح" الذي تحدثت عنه الكاتبة في الأصل؟ وكيف استبدله مترجمنا في غفلة من القارئ بـ"فتيل الغضب"؟!

في الفصل التاسع كذلك، حين تحدثنا الكاتبة عن رحلتها إلى إنجلترا، تقول: "Dover and then Victoria station were reached in due time. At the latter a member of the Foreign Office met us, Dr Leared (since dead), and a few personal friends, and escorted us to Conduit Street, where the British government had retained quarters for us"، أي: "وصلنا إلى دوفر وبعدها إلى محطة

فكتوريا في حينه. وفي هذه الأخيرة تلقانا عضو من وزارة الخارجية، وهو الراحل الدكتور ليرد، وبعض الأصدقاء الشخصيين، واصطحبنا إلى شارع كوندويت، حيث أفردت لنا الحكومة البريطانية بعض المساكن"؛ ترجمها هكذا: "وكان وصولنا إلى محطة دوفر ثم إلى محطة فيكتوريا في الموعد المضروب. وفي الأخير تلقانا أحد أعضاء وزارة الخارجية، ذلك هو الدكتور ليرد (المتوفي بعيد ذلك)، وبعض الشخصيات الصديقة، وساروا يرافقوننا إلى فندق "كولدن ستريت" حيث حجزت لنا الحكومة البريطانية عدة أجنحة". لا أعرف من أين أتى بفندق "كولدن ستريت" هذا! فالكاتبة في الأصل تتحدث عن شارع بهذا الاسم وليس عن فندق!

في نفس الفصل تردف الكاتبة: «The Mayor of Brighton offered us a luncheon, but afterwards my cousin's husband a medical man in that town, took the entertainment on his hands…"، أي: "قام محافظ (أو عمدة) برايتن بدعوتنا لمأدبة غداء، لكن بعد ذلك تولى زوج قريبتي، وكان طبيبا في تلك المدينة، ضيافتنا"؛ ترجمها (حزل) هكذا: "وأقام محافظ مدينة برايتن حفل غداء على شرفنا. ثم تولى ضيافتنا ابن عم زوجي، وهو طبيب يعيش في هذه المدينة"، وكما تلاحظون، "زوج قريبتي" ترجمه إلى "ابن عم زوجي"!، وكأن الشريف كان له ابن عم يشتغل طبيبا في إنجلترا، في الوقت الذي لم يكن في إنجلترا في ذلك العهد أي مهاجر مغربي يمتهن مهنة "مُعَزِّم" عدا عن "طبيب"!

في الفصل الحادي عشر، وهو الفصل الذي تصف فيه الكاتبة رحلتها رفقة الشريف إلى فاس، تقول: «The whole journey from Tangier to Fes was one of adoration of the Shareef, and further taught me the immense prestige enjoyed by the Wazan family, and particularly by my husband…»، أي: "كانت الرحلة من طنجة إلى فاس كلها رحلة عشق للشريف، وأطلعتني أكثر على مدى النفوذ الهائل الذي تحظى به الأسرة الوزانية، لا سيما زوجي. . . ". ترجمها (حزل) بركاكة وابتذال هكذا: "كانت الرحلة من طنجة إلى فاس من تلك الرحلات الأثيرة على الشريف، كما أنني وقفت منها على النفوذ العظيم الذي تتمتع به أسرة وزان، وبالأخص منها زوجي. . . . ".

في الفصل الحادي عشر أيضا، تتحدث الشريفة عن توق الشريف لرؤية الإصلاحات تدخل بلاده فتقول: "He was anxious, however, to see many reforms carried out in the country, and was always advocating roads and bridges as the first step towards prosperity…»، أي: "مع ذلك فقد كان تواقا لرؤية الإصلاحات تدخل إلى البلاد، وكان دوما يعتبر بناء الطرق وتشييد القناطر خطوة أولى نحو تحقيق التقدم والازدهار. . . ". ترجمها هكذا: "وقد كان قلقا مما يرى من الإصلاحات الكثيرة التي كانت تعرفها البلاد في تلك الأيام. فقد كان يطالب بإنشاء الطرق والقناطر، باعتبارها خطوة أولى نحو الازدهار". لاحظوا كيف عكس المعنى تماما، وكيف أصبح "توقه" لرؤية الإصلاحات تدخل البلاد إلى "قلق" من هذه الإصلاحات (التي دخلت البلاد فعلا حسب زعمه) و"توجس" منها.

في الفصل الثالث والعشرين، تخبرنا الكاتبة عن توجس الشريف من محاولات لاغتياله، وأنه تصور أنه فعلا تعرض لإحدى هذه المحاولات، وأن محمود خادم الشريف أكد له مخاوفه، فتقول: « The Shareef abandoned his accustomed road, and, according to the accounts I received, arrived at his own house more dead than alive from fright, fully believing that now his fears were well founded / Mahmoud was ready to confirm the attempt, and said he knew there were fifty emissaries from the court, all with a vow to cause the Shareef's death »، أي: " عدل الشريف عن طريقه المعتاد؛ وحين وصل إلى بيته في المدينة كان الدم-حسب الرواية التي وصلتني- يكاد يتجمد في عروقه من الفزع، ولم يكن لديه شك في أن مخاوفه كان لها ما يبررها، سيما وأن محمود كان مستعدا لتأكيد هذه المخاوف، حين زعم أنه بلغه أن هناك خمسين مبعوثا أرسلهم البلاط، وكل واحد منهم أخذ على نفسه عهدا بإنهاء حياة الشريف". لكن مترجمنا ترجم الفقرة هكذا: "ولقد دفع ذلك بالشريف إلى الانحراف عن طريقه المعتاد، ثم كان وصوله، حسب البيانات التي تلقيتها، إلى منزله في المدينة، وهو أشد ما يكون فزعا، وقد أصبح موقنا تماما من أن مخاوفه قد أصبحت الآن، حقيقة ماثلة للعيان. وقد كان محمود على أهبة الاستعداد لتكرار تلك المحاولة. ومن ذلك أنه قال إنه علم أن كان هناك خمسون مبعوثا من البلاط، كلهم متعهدون بقتل الشريف". لاحظوا كيف يترجم شيئا لم يفقه معناه حتى، وكيف أصبح محمود في الترجمة المعيبة هو من قام بمحاولة الاغتيال وكيف أنه كان مستعدا لإعادة الكرة، مع أنه من الواضح في النص الأصلي أن محمود كان مستعدا لتأكيد مخاوف الشريف من أنه كانت هناك محاولة لاغتياله.

في نفس الفصل كتبت المؤلفة: « ... in December a letter of a most insulting description came from the Court in reply to a letter of remonstrance sent to the Sultan Muley Hassan»، أي: " وفي دجنبر وصلت رسالة مهينة للغاية من البلاط جوابا على رسالة احتجاج أُرْسلت إلى السلطان مولاي الحسن". فكما هو ملاحظ، العبارة مبنية للمجهول، إلا أن مترجمنا صاغها على هذَا المنوال: "وفي شهر دجنبر أتت رسالة حبلى بكل أشكال السباب من البلاط، ردا على رسالة احتجاج كنت بعثت بها إلى السلطان مولاي الحسن". ليس هناك ذكر للسباب في المتن، كما أن الكاتبة لم تقل أنها من أرسلت الرسالة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن بين صاحبنا وبين الدقة والأمانة في الترجمة بعد المشرقين.

في الفصل الثالث والعشرين أيضا، تخبرنا الكاتبة عن شخص أوروبي رمزت إليه بحرف "ج" (X)، وقالت إنه كان يحاول استغلال الشريف في آخر حياته، فكتبت: «Meantime, X continued to weave his fascination web about him, even going to Wazan and trying his best with Muley Alarbi and Muley Mohammed to leave themselves against me. Muley Mohammed stated to me the insinuations made, namely, that I was a stumbling-block to the welfare of the Wazan family, etc. Finally, in 1886, X received his congé, and then a syndicate of five

« claimed the Shareef’s attention، أي : " في نفس الوقت استمر "ج" في نسج حبائله حوله ، حتى أنه ذهب إلى وزان وبذل قصارى جهده لكي يقنع مولاي العربي ومولاي محمد بالوقوف ضدي . وقد أخبرني مولاي محمد لاحقا بتلميحاته ، خاصة منها أني كنت أقف حجر عثرة في طريق سعادة الأسرة الوزانية وهلم جرا . وأخيرا ، في عام 1886 ، أخذ "ج" إجازته ، وبدأت وكالة مكونة من خمسة أشخاص في الاستئثار باهتمام الشريف" . ترجمها هكذا : "وفي الوقت ذاته استمر ذلك الفلان في في نسج شرك الإعجاب للشريف ، كما كان يتوجه إلى وزان ، ويفعل ما في وسعه من أجل أن يضم كلا من مولاي العربي ومولاي محمد ويجعلهما يتحالفان وإياه ضد الشريف ، فقد ذكر لي مولاي محمد من التلميحات ما يفيد ذلك ، وأنني كنت حجر عثرة أمام نماء العائلة الوزانية ، وأخيرا ، ففي عام 1886 ، حصل هذا الفلان على إجازة ، وجعل خمسة وكلاء أعمال يقومون مقامه في مواصلة عملية تضليل الشريف" . انظروا كيف صارت "وكالة مكونة من خمسة أشخاص" في الترجمة إلى "خمسة وكلاء أعمال" ، وكيف تحولت عبارة "الاستئثار باهتمام الشريف" إلى "تضليل الشريف" ، ولاحظوا أيضا الركاكة الواضحة في التعبير .

في الفصل الخامس والعشرين ، وفي سياق حديثها عن غضب الشريف على ولده مولاي العربي في آخر حياته تقول : «the Shareef left his house suddenly, and was taken in his brougham to a hotel at night. I was in disgrace, it seemed, because I would not go and reprimand Muley Arbi” ، أي : "غادر الشريف بيته بغتة ، ونُقل في عربته إلى فندق أثناء الليل . كنت مغضوبة عليها أيضا على ما يظهر ، لأنني لم أذهب لأوبخ مولاي العَربي" ؛ ترجمها صاحبنا هكذا : "وترك الشريف منزله على حين غرة ، وتم اصطحابه إلى أحد النُّزل . ولقد شعرت بالعار وقتئذ لأنه لا يمكنني أن أذهب وأوبخ مولاي العربي" . ترى أين ذهبت "العربة" «brougham» في الترجمة؟ لم أعثر لها على أثر! وهل لمستم في النص الأصلي أن الكاتبة شعرت بالعار لأنها لم توبخ مولاي العربي؟ أم أن الشريف هو من لامها وغضب منها لأنها لم تفعل ذلك؟

في الفصل السادس والعشرين ، وفي معرض حديثها عن طبائع المغاربة مقارنة بالأوروبيين وتعاملها مع الشريف أثناء فترة مرضه ، تقول الكاتبة : «All this I took into consideration, and shaped my life so that Mohammedans should have no cause to complain of my treatment of their spiritual chief, infallible as he was in their eyes» ، أي : " كنت دائما ما أضع هذا في اعتباري ، وصغت حياتي بحيث لا أدع مجالا للمسلمين (المحمديين) للشكوى من طريقة تعاملي مع زعيمهم الروحي ، المعصوم في نظرهم" . ترجمها صاحبنا بركاكة على هذا المنوال : "وقد أخذت كل هذا بعين الاعتبار ، غيرت حياتي حتى لا يبقى للمسلمين دافع ليشكوا من معاملتي لشيخهم الروحي ، المعصوم من الخطايا في نظرهم" .

في نفس الفصل ، تتحدث الكاتبة عن الخادمات اللائي اقتحمن منزلها لأخذ زوجها إلى الزاوية : «I had scarcely commenced to dress when I heard a temendous scuffling downstaisrs, and found my house invaded by servants and retainers

from the Zowia . Poor things, I thought, they are anxious about their lord ، and master, little did I guess the real cause of this army of women ... "
أي : " كنت قد بدأت للتو أرتدي ثيابي (لأنها كانت قد فرغت لتوها من الاستحمام) حين سمعت عراكا صاخبا في الأسفل ، وإذا بخادمات وتابعات للزاوية قد اقتحمن البيت . حسبت أن المسكينات أتين لتفقد شيخهن وسيدهن ؛ لكن لم يدر بخلدي السبب الحقيقي الذي جاء بهذا الجيش من النسوة . . . "؛ ترجمها هكذا : "وما كدت أشرع في خلع ثيابي حتى سمعت شجارا مروعا في الأسفل ، ووجدت منزلي قد اجتاحه خدم الزاوية وأتباعها ، وهم في حالة مثيرة للشفقة من فرط قلقهم على شيخهم وسيدهم . لكنني لم أحرز الدوافع التي دعت إلى قدوم ذلك الجيش الصغير من النساء رفقتهم" . فـ"أرتدي ثيابي" صارت عنده بقدرة قادر "خلع ثيابي" . و"الخادمات والتابعات" صاروا في ترجمته "خدم الزاوية وأتباعها" الذين جاؤوا معهم بـ"جيش صغير من النساء" ، والحق أن كل المقتحمات حسب النص الأصلي كن من النسوة ولم يكن معهم رجال . الرجال على ما يبدو من السياق كانوا ينتظرون في الخارج لحمل الشريف ووضعه في العربة .

في الفصل السابع والعشرين ، حين كان الشريف على فراش الموت ، كتبت الكاتبة : « ... but at last Muley Mohammed insisted upon my being summoned» ، أي : " ثم آخر الأمر أصر مولاي محمد على استدعائي" ؛ لكن في ترجمة صاحبنا "مولاي محمد" صار "مولاي علي" : "لكن أصر مولاي علي ، في النهاية ، على استدعائي" .

في الفصل السابع والعشرين كذلك، وفي معرض وصفها لضريح زوجها تقول: « By an extraordinary coincidence, my bedroom window faced the edifice, which had then a flat roof, on the first night I passed in Tangier in 1872, when I lived for a fortnight at the Hôtel de France, kept by the father of the present owner of the Villa De France Hôtel in Tangier » ، أي : "في صدفة عجيبة كانت نافذة غرفة نومي تقابل هذا الصرح ، الذي كان لديه آنذاك سقف مسطح ، وذلك في الليلة الأولى التي قضيتها بطنجة في عام 1872 ، حيث مكثت أسبوعين في "فندق فرنسا" الذي كان يسيره أب المالك الحالي لفندق "فيلا دي فرانس" في طنجة" ؛ ترجمها (حزل) هكذا : "وسقف الضريح دائري الشكل ، مدهون بطلاء أبيض ، وكنت أمضيت أول ليلة في طنجة ، في عام 1872 ، وأقمت لمدة أسبوعين في "نزل فرنسا" ، الذي كان في ملكية الوالد الحالي "لدارة نزل فرنسا" بطنجة" . انظروا كيف تحول "فندق فرنسا" الشهير بطنجة إلى "نزل فرنسا" في الترجمة ، وكيف صار فندق "فيلا دي فرانس" الغني عن التعريف (وهذه هي الطّامة الكبرى) "دارة نزل فرنسا" في ترجمته ؛ متجاهلا أو غير مدرك أن أسماء الأماكن ينبغي أن تكتب كما هي في الأصل ، وألا تُحَرَّف أسماؤها بهذا الشكل الفج .

هذا غيض من فيض، وتتبع هذه الهفوات والسقطات في ترجمة حزل المزعومة[5] يحتاج إلى عشرات الصفحات. أما عن الصيغ التعبيرية الركيكة والأخطاء النحوية واللغوية والبلاغية فحدث ولا حرج. تأملوا معي ركاكة هذه التعبيرات التي اقتطفتها من ترجمته:

-"هل سيتم الزواج؟". سؤال ظلت تلوكه الأفواه الكثيرة في مدينة طنجة

-لقد كنت أجدني معجبة به إعجابا لا يساورني فيه شك

-إلى أن طلب الشريف الزواج مني، لم أكن لأتصور أن يصدر منه ذلك الطلب

-ثم صرت أجدني، أثناء غيابه، قد أصبحت مشغولة البال به

-ونتيجة لذلك كان يتعين التحسب، على الدوام، للطلاب المفاجئين لشتى أنواع المساعدات

-بهتت من قولها

-لهذا السبب كان الناس يتقربون إلى الشرفاء في مختلف المطالب والالتماسات

-ولم تكد تمضي بضعة شهور حتى أصبحت أقتدر على التمييز بين الكلمات

-غير أن نقاء لكنتي كان يعوقني عن الكلام

-فجاءت تركب حمالة مغلقة، في عدد من المرافقين

-وظننت لمرآها وهي على تلك الحال أنها لم (الصواب: لن) تعمر معنا طويلا

-فكانت كأنها فاقدة الوعي

-كنت في ذلك الوقت أجهل بتلك الإساءة

-وإذا بالطفلة قد بدأ ذكاؤها يختفي ثم أصبحت بليدة كثيفة الذهن

-ثم بدأت أنقطع بدروسي لها تدريجيا

-كان يغمرني باللطف ويفيض علي من الاحتفاء

-وعلى ذلك غادر الشريف المملكة

-ابن أخي (الصواب: ابن أخ) الشريف

-قد كان الشريف طلب مني، قبل ستة أشهر خلت، أن أجعل اسما لأول أحفاده

-وكنت أجد لهذا الاسم وقعا من الرقة

-فجلست العجوز مقرفصة، تبدو مهتمة بعملية خلع ثياب الوليد

-دلف الشريف إلى غرفتي وهو كالفاقد أنفاسه

---

[5]- سميناها ترجمة مزعومة لحزل، لأنه نشر غلافا وهميا يعلن قرب إصدارها على عادته المتبعة لقطع الطريق على الباحثين، وهو لم يترجمه في الأصل، وإنما المتوفر لدينا من هذه الترجمة التي يتباهى بها صفحات مبتورة، نشرها في حلقات معدودة بإحدى الجرائد، ولم يتوخ فيها الدقة ولا الضبط ولا الأمانة العلمية، وارتكب فيها أخطاء شنيعة ذكرنا بعضا منها في متن مقدمتنا للترجمة التي أنجزناها عن الأصل.

-كانت والدتي ، حينئذ ، تقوم بإلباس الوليد ، ثم مدت إلى الشريف به ليقبله

-فقد كان خدم البيت ، وآخرون غيرهم ، يقومون على إعداد الكعك وسواه من الحلاوي (الصواب : الحلاوى أو الحلويات)

-فلما تثبوا (الصواب : تيقنوا أو تثبتوا) من أنه لم تحدث مأساة من خلف بابي ، سارعوا بالعودة إلى مختلف أقسامهم (كذا ، وكأننا في مدرسة !)

-الوليد المسلم يجعل له اسم في اليوم الثامن من ولادته

-تلي ذلك وجبة غذاء (الصواب : غداء) فاخرة

- وكان قليلا ما يرى أولاده من زوجاته السابقات ، وإذا جلس إليهم لم يطل (الصواب : لا يطيل) الجلوس لأكثر من بضع دقائق

-لكن الشريف لم يصطحبني وإياه ، طيلة السنتين الأولين من حياتنا المديد ، في رحلات صيده ، لغير يوم واحد

-وتسمر صاحب الفندق لصق الشريف لا يفارقه

-نظرت من النافذة بما يشبه الافتتان إلى تلك الجموع المائجة

-لقد ظل لأمد طويل يكايدني بالممازحة في هذا الشأن

-كانت الساعة الأولى أو الساعتان الأوليان

-الإضاءة الوحيدة كانت من قنديل زيت شديد الخفوت

-وفي الأخير تمكنا من الإفلات

-إن الغذاء (الصواب : الغداء) والعشاء المغربيين يكونان محنة للجهاز الهضمي

-أما أنا فلم أكن أقيم من تمييز بين الأولاد ثلاثتهم

-وكنت أجدني شديدة الغرابة في لباسي الأوروبي

-قررت أن أتزود من بعض الثياب المحلية

-وكان حفل تتويج السلطان الجديد يتم ، بعامة ، في مولاي ادريس زرهون

-لما سمع بوفاة الملكة الصغيرة حزن لذلك غاية الحزن

-والمغاربة يتميزون بمخيال واسع محلق ، وليس يقل الإسبانيون عنهم في هذا المضمار

-رفضت مرافقة الشريف فيما يخرج إليه من رحلات الصيد

-فقد رأى الشريف أنه ليس من اللائق نحو الحكومة الجزائرية أن يرسل بولده بمفرده ، لذلك ارتأى أن أرافقه في خفر لائق

-وقد كنت في كل عيد من أعياد الفصح ، أذهب لرؤيته ، فأصطحبه ، أثناء ما يكون له من العطل المدرسية ، إلى القسنطينة أو تلمسان .

-ثم حدث أن غادر الثانوية لما لا أعرف من الأسباب

-وأقبل على شرب الخمر ، يتناول منها ومن سواها من الأشياء الضارة ، أكثر مما يتناول من الأشياء النافعة

-فاقترحت إلحاقه بالجيش ، لكن الفشل كان نصيبه منه أيضا

-كان الشريف طوال حياته موضع إجلال وتملق

-فاستأذن زوجي لكي أتركه يدخل

-لقد استُغِلت نقطة الضعف عند الشريف ، والمتمثل في خوفه من القتل ، غطاء جاهزا لذلك المخطط .

-وفي نفس الوقت استمر ذلك الفلان في نصب شرك الإعجاب للشريف

-وأنني كنت حجر عثرة أمام نماء العائلة الوزانية

-وبعد مضي بعض الوقت أرسل في طلبي ، فإذا جئته لم يشأ أن يطرق ذلك الموضوع ، ولا فعلت أنا أيضا

-أعلن الوكيل أن المنزل والأراضي كانت موضوعة للبيع

-نفد صبري من غرابة أطوار الشريف التي كانت لا تني في ازدياد

-ثم تول (تولد) لديه اعتقاد أنه لا يمكن أن يتوجه إلى هناك بدوني

-إذا بالشريف يقع مريضا

-أما الشريف فكان على اختلاف غير هين عن بني ملته

-وفي الأخير تم بلوغ المسجد الصغير

-وكان الرجال يتنهدون بصوت جهير

-وتملك النساء ما يشبه الهستيريا . . . وكان الآخرون يجدون صعوبة في انتشالهم (انتشالهن) من الطريق حتى لا تدوسهم (تدوسهن) الأقدام

-ثم حدث أن استولت الجماهير على النعش الفارغ وحولته إلى شظايا

-ولقد اجتمعت الضيفات في المنزل (وجئتني!) ببعض منهن إلى غرفتي ليهنئوني (الصواب: ليهنئنني) بصفة شخصية

-وفي تلك الأثناء كان الحيوان قد بدأ يضطرم حنقا

–أعجب الشريف كثيرا بنابولي ، لكنه ظل ، إذ هو فيها ، ملتزما الغرفة لم يبرحها إلى أي مكان طلبا للنزهة

–كنت أظن أن الشريف سيرتمي من على السرير من فرط الهياج . . .

وهلم جرا

لعلي استطردت وأفضت ، لكني أردت من خلال تتبعي لهذه الأخطاء والهفوات توجيه رسالة إلى المترجم المعني مفادها : "إذا كان بيتك من زجاج ، فلا تقذف الناس بالحجارة" ، وأن عليه أن يهتم بتصحيح عيوبه وأخطائه قبل أن يهتم بتصحيح عيوب وأخطاء الآخرين ، وأن يعتني بتهذيب وتنقيح أعماله قبل أن ينشغل بتتبع النقائص والهفوات في أعمال غيره ؛ وأنا لا يخامرني أدنى شك في أن ترجمته التي نشرها في الصحف الوطنية (كما زعم) لـ"المغرب الذي كان" لوالتر هاريس لا تقل ركاكة وتهافتا عن ترجمته لـ"قصة حياتي" لإيميلي كين ، سيما وأنه لم يترجمها عن الأصل الإنجليزي ، وإنما عن الترجمة الفرنسية ، التي هي نفسها ترجمة ناقصة ومبتورة كما أشرت إلى ذلك في هامش سابق ؛ وإن ادعى العكس فليخرجها لنا ولينشرها على الملأ ، ولْيَدَعِ الْحُكم للقراء والنقاد . أما الزعم بأن ترجمته التي نشرها قبل عقود (كما قال) لـ"لمغرب الذي كان" لم يعتورها من الغلطات (ما) تعج به هذه الترجمة (ويقصد ترجمتي) فهو كلام مرسل ، ودعوى من غير بينة ، وزعما يحتاج إلى دليل يعضده .

وختاما ، لا أدعي أن ترجمتي هذه خالية من الأخطاء وسليمة من الهفوات ، وجَلَّ من لا يُخطئ ؛ لكني مع ذلك حرصتُ كل الحرص على أن تكون ترجمة موثوقة وصادقة ، وأن يكون الأسلوب سلسا ومسترسلا ، ووضعت نُصب عيني أن أنجز عملا فيه من الحس الأدبي بقدر ما فيه من الدقة والأمانة ، وفيه من البصمة الفنية بقدر ما فيه من سلامة اللغة وطلاقة الأسلوب ؛ وأرجو أن أكون وُفِّقتُ في ذلك .

ولا يفوتني في ختام هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ خالد طحطح ، لأنه واكبني كالعادة أثناء إنجازي لهذا العمل ، وساعدني على مراجعته وتدقيقه ، وعلى فك رموز أسماء بعض الأماكن التي طالها التّصحيف الشَّديد ؛ فله جزيل الشكر وبالغ الامتنان .

حسن الزكري

أستاذ اللغة الإنجليزية ومترجم